المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

أثر السياق في توجيه دلالة المشترك اللفظي- دراسة في ديوان (تاسع أهل الكهف) للشاعر وليد الصرَّاف

م. د. حمادي خضر عبد الله
المديرية العامة لتربية نينوى/ مدرسة الموهوبين
الإيميل: dr.hammadi88@gmail.com
ORCID:1747-6117-0009-0009

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللفظي في ديوان (تاسع أهل الكهف) للشاعر وليد الصراف. وينطلق من فرضية مفادها أن المشترك اللفظي – بوصفه ظاهرة لغوية تتسم بتعدد المعاني – لا يمكن تفسيره أو ضبط دلالاته إلا من خلال السياق الذي يرد فيه. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي، إذ رصد البحث أبرز الألفاظ المشتركة في الديوان وتحليل سياقاتها المختلفة للكشف عن آليات تحديد المعنى وتوجيهه. وانقسم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث، تعقبها خاتمة، توصل البحث خلالها إلى أن السياق بأنواعه (اللغوي وغير اللغوي) يؤدي دورًا حاسمًا في توجيه الدلالة، إذ يحدُّ من احتمالات التأويل، ويوفّر للمتلقي أدوات تفسيرية دقيقة. كما أظهرت النتائج أنّ الصراف يوظّف المشترك اللفظي بشكل واع لإثراء تجربته الشعرية، مما يمنح النص مرونة دلالية وغنىً جماليًا. ويوصي البحث بمزيد من الدراسات التطبيقية التي تعنى بتحليل المشترك اللفظي ضمن سياقات نصوص أدبية أخرى لتوسيع الفهم حول هذه الظاهرة وأثرها في الإبداع اللغوي.

الكلمات المفتاحية: السياق، المشترك اللفظي، دلالة، أهل_الكهف، وليد_الصراف

The Influence of Context on Determining the Meaning of Lexical Ambiguity: An Analytical Study of (The Ninth of the People of the Cave) by the Poet Walid Al-Sarraf

Lect. Dr. Hammadi khidher Abdullah
Gifted school/Nineveh

Abstract

This research examines the impact of context on determining the meaning of lexical ambiguity in the poetry collection The Ninth of the People of the Cave by the poet Walid Al-Sarraaf. It is based on the hypothesis that lexical ambiguity — as a linguistic phenomenon characterized by multiple meanings — cannot be interpreted or its meanings properly determined except through the context in which it appears. The study adopts an analytical approach, as it identifies the most prominent ambiguous words in the collection and analyzes their various contexts to reveal the mechanisms of meaning determination and direction. The research is divided into an introduction, five sections, and a conclusion. Throughout, it concludes that context, in its various types (linguistic and non-linguistic), plays a crucial role in guiding meaning, as it limits the possibilities of interpretation and provides the recipient with precise interpretative tools. The findings also show that Al-Sarraaf deliberately employs lexical ambiguity to enrich his poetic experience, granting the text semantic flexibility and aesthetic richness. The study recommends further applied research focused on analyzing lexical ambiguity within the contexts of other literary texts, in order to expand the understanding of this phenomenon and its impact on linguistic creativity.

Keywords: Context, Lexical Ambiguity, Meaning, People_of_the_Cave, Walid_Al-Sarraaf.

المقدمة

يُعدّ المشترك اللفظي من الظواهر الإشكالية في علم الدلالة، إذ يتأسس على تعدد المعنى ضمن البنية الصوتية الواحدة، ما يجعله موضعاً لتأويلات محتملة ومتباينة بحسب السياق. وتبرز أهمية هذا النوع من الظواهر حين يُستثمر في البنى الخطابية ذات الطابع الجمالي كالخطاب الشعري، إذ يُغدو اللفظ المشترك أداة لتكثيف الدلالة وتوسيع أفق المعنى، دون أن يُفلت من ضوابط التلقي والقراءة الواعية. ومن هنا، يتداخل المشترك اللفظي مع السياق بوصفه آلية حاسمة في ترجيح دلالة على أخرى، أو خلق شبكة من المعاني المتراكبة دون الوقوع في فوضى دلالية. ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: «أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللفظي: دراسة في ديوان (تاسع أهل الكهف) للشاعر وليد الصراف»، لتقارب العلاقة الوظيفية بين السياق والمعنى في بيئة شعرية معاصرة يتكئ فيها الشاعر على إرثٍ لغويٍ وثقافي عميق، يوظّفه بلغةٍ مشحونةٍ بالإيحاء والتأويل والانزياح. فديوان (تاسع أهل الكهف) لا يقدّم المعجم اللغوي بوصفه وسيلةً للإبلاغ فحسب، بل بوصفه فضاءً دلالياً تتقاطع فيه المعاني، ويتحدد فيه المقصود من خلال بنى السياق النصي والمقامي والثقافي. وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء أثر السياق بأنواعه المختلفة ـ السياق النصي (اللغوي والنحوي)، والسياق المقامي (النفسي والثقافي)، والسياق التداولي ـ في إعادة بناء المعنى وتحديد دلالة اللفظ المشترك، وذلك من خلال تحليل عيّنات مختارة من نصوص الديوان، وفق منهج تحليلي دلالي، يستند إلى أدوات علم اللغة الحديث، ولا سيما اللسانيات السياقية والتداولية. ولئن كان المشترك اللفظي في التراث العربي موضع خلاف بين من عدَّهُ ظاهرة طبيعية تُغني المعجم، ومن رآه مصدراً للغموض واللبس، فإن هذه الدراسة تحاول تقديم قراءة معاصرة لهذه الظاهرة، تبرز كيف أن السياق ليس عاملاً مساعداً فحسب، بل هو الشرط الأساسي في إنتاج المعنى الشعري، وفي توجيه القارئ داخل نسيج من العلامات المتراكبة والدلالات المتشعبة.

المبحث الأول: السياق والمشترك اللفظي بين اللغة والاصطلاح

أولا: السياق

السياق لغة:

أصل السِّياق: سُواق، فقُلبتِ الواو ياءً لمناسبة كسرة السين، ومن معانيه: الحَذْوُ والتوالي والتتابع والسَّرْدُ، وهي معانٍ متقاربة، فسياق الكلام: تتابعه، وسَرْدُهُ واطِّرادُه، وأصل هذه المادة اللغوية يدور على معنى التتابع، قالَ ابنُ فارس: "(سوق) السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَذْوُ الشَّيء، يقال: ساقه يسوقه سَوقاً، والسَّيِّقة: ما استيق من الدَّوابّ، ويُقال: سُقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ، والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجَمع أسواق، والسَّاق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سُمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينْساق عليها"[1]، وقال الرَّاغب: "ساق: سوق الإبل جلبُها وطَرْدُها، وسُقتُ المُهْرَ إلى المرأة وذلك أنَّ مهورهم كانتِ الإبل"[2]، وجاء في المعجم الوسيط: "(ساق) المريض سوقاً، وسياقاً، وسياقة، ومساقاً: شرع في نزع الروح، ساق الحديث: سَرَدَه، وسَلْسَلَه، وإليك يُساق الحديث: يُوجَّه، والمهر إلى المرأة: أرسله وَحَمَلَهُ إليها... (السياق) المهر، وسياق الكلام تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه، والنزع يقال هو في سياق الاحتضار"[3].

أمَّا **السِّياق في الاصطلاح**: فهو ارتباطُ مكوناتِ الحدثِ الكلامي بعضها ببعض من أصوات وكلمات وجمل ونصوص، وما يُحيط به من قرائن وأحوال، أي إنه يشمل العلاقات الداخلية والمحيط الخارجي للحدث الكلامي. وهذا التعريف يشمل السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي، فالسياق اللغوي: هو النظم اللفظي

1) مقاييس اللغة، مادة (سوق): 117/3.
2) المفردات في غريب القران: 328.
3) المعجم الوسيط: 465.

للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة[1] ، ويتمثل في الأصوات والكلمات والجمل وتتابعها في حدث كلامي معين أو نص لغوي[2] ، ويُسمَّى اللفظي والمقالي كذلك، أما السِّياق غير اللغوي: فهو العناصر المكونة للموقف الكلامي، أو الحال الكلامية[3] ، ويُسمَّى المقامي، أو سياق الحال.

ثانيا: المشترك اللفظي:

المشترك لغة:

للجذر (شَ رَ كَ)، في المعجمات العربية كما يقول ابن فارس أصلان: "أحدهما يدل على المقارنة خلاف الانفراد، والثاني يدل على الامتداد والاستقامة... ويُقال: شاركتُ فلاناً بالشيء إذا صرتُ شريكَه"[4]، وشاركه وتشاركوا واشتركوا أي: تساووا، وفريضة مشتركة: يستوي فيها المقتسمون، وطريق مشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تشترك فيه معانٍ كثيرة كالعين ونحوها[5] . أما **في الاصطلاح** فيُعرَّف المشترك بأنه: "اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[6] وهذا هو المراد بالاشتراك أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين او أكثر. وقد حدَّه ابن فارس ' بان تسمَّى الاشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين المال وعين السحاب"[7]. والمشترك ظاهرة لغوية دلالية عامة في كل اللغات وقد أكَّد وجودها أكثر الباحثين وتباينت آراؤهم في تحقيق وقوعه على النحو التالي:

- إنه ممكن الوقوع أي: لا يمنع مانع عقلي من وقوعه في اللغة.
- إنه واقع " فعلا " لوجوده في اللّغة.
- وأوجب بعضهم وقوعه، لأنَّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية[8] .

ومن هنا فإن المشترك اللفظي، هو اللفظ الواحد الدال على معان مختلفة تتحدد دلالتها وتتضح من خلال السياق وقرائنه، وهو واقع في اللغة فعلا، ليفي بالدلالات الاجتماعية، ويسِّهل عملية التواصل، وييسر عملية الفهم والإفهام، ويلبي مطالب اللغة ومستعمليها.

المبحث الثاني: المشترك اللفظي في التراث العربي وعند والمحدثين العرب والغربيين

أولا: المشترك اللفظي في التراث العربي

وقف علماؤنا القدامى عند هذه الظاهرة، ولعلَّ أوَّل من ألَّف فيها مقاتلُ بنُ سليمان اللغوي المفسر(ت150هـ)، ويُعد كتابه (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) من أوائل المصنفات في ظاهرة المشترك اللفظي، وكتاب الأصمعي (ت 216 ه) وسمَّاه (الاجناس)، ثم تلاه كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 ه)، ولإبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 225 ه) كتابٌ (ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه)، وللمبرد (ت 285 ه) كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد). ويعد كتاب كراع (ت310 ه)، (المنجد في اللغة) من أشمل الكتب العربية في موضوع الاشتراك اللفظي، ولابن الشجري (ت 542 ه) كتاب: (ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه) ولعل كتاب (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) من أشهر الكتب في تناوله هذه الظاهرة، فقد تناولها مؤلفه أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 ه) بإسهاب. وتعنى هذه

1) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب: 57.
2) الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل: 161.
3) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: 311.
4) مقاييس اللغة، مادة (شرك): 265/3.
5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، 448/10.
6) المزهر في علوم العربية، السيوطي: 369/1، وينظر: أسرار العربية، ابن الانباري: 144.
7) الصاحبي في فقه اللغة: 114.
8) ينظر: المزهر: 369/1، وينظر: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، د. توفيق محمد شاهين: 27_28.

المؤلفات بسرد الكلمات وذكر معانيها، وتختلف بينها بعدد الكلمات أو عدد الدلالات التي تنسبها الى الكلمة، كما كان الخلاف قائما بينهم حول وجود هذه الظاهرة أو عدمها، فذهب بعضهم إلى أن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية، فاذا وُزِّع كل منهم على الآخر لزم الاشتراك[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن القدامى لم يُجمعوا على وقوع المشترك اللفظي في اللغة، فمنهم من أنكره وعدَّه مدعاةً للَبْسِ والتعمية بدلاً من الإبانة والوضوح، وأشهر المنكرين ابن درستويه (ت 347 ه) فقد أشار الى أسباب وقوع هذه الظاهرة بقوله: "فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لَما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل، فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين وإنْ اتفق اللفظان. وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع"[2]. ويعزو سبب حدوث الاشتراك الى اختلاف اللهجات أو نتيجة لحذف في الكلام أو اختصار في العبارة أو نتيجة لعلل يجهل المتكلم أو السامع مقامها أو سياقها الاجتماعي فيحدث الاشتراك في معناها فتؤدي الى تعمية الكلام أو غموضه. ويرى الباحث أن ما جاء به (ابن درستويه) تضييق لمسالك اللغة، فاللغة في تطور مستمر بحسب ما يحتاجه مستعملوها، والمشترك اللفظي فيه عونٌ على الإبانة، وتوسيعٌ للغة، كما يزيد من قيمة اللغة التعبيرية، ويبسط من مداها اللفظي والمعنوي، ومع ذلك فالاشتراك يحتاج إلى كتّاب وقرَّاء ماهرين يعرفون علل اللغة ويقدرون الملامح الدلالية بين ألفاظها. وبالرغم من إنكار ابن درستويه لظاهرة المشترك اللفظي إلا إننا نلمح في كلامه إشارةً إلى دور السياق والمقام في تحديد المعنى لما لهما من دور كبير في تحديد الدلالة وتبيان المعنى والقضاء على كل غموض إذا أُحكم تطبيق السياق بنوعيه.

ولم يكن ابن درستويه الوحيد الذي أنكر المشترك اللفظي، فقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن الاشتراك يؤدي الى وقوع الغموض في الكلام بسبب احتمال الكلمة لأكثر من معنى. ويحدد أبو هلال العسكري دلالة المشترك بقوله: "هو الالفاظ التي لا تدل على المعنى خاصة، بل تشترك معه فيها معان أخر، فلا يعرف السامع أيها أراد، وربما استبهم الكلام في نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه إلا بالتوهُّم"[3]. نلحظ من ذلك أنَّ كل من ذهب إلى أنَّ الاشتراك في اللغة يؤدي الى الإبهام والغموض، يتغافل يتغافل دور السياق وقرائنه، فالاشتراك لا يخلُّ بالتفهيم ما دامت قرائن السياق توضِّح المُراد وتكشف الدلالة، إلا إذا كان الكلام خالياً من كل قرينة توضِّح معناه أو ترشد اليه، أو أراد به واضعه الغموض من دون أنْ يترك لنا دليلاً على دلالته أو المراد من كلامه، عندئذ يعجز السياق عن رفع مثل هذا الغموض الذي يعتري الكلام، وإنْ كان هذا النوع نادر الوقوع. أمَّا الغموض الناتج عن جهل القارئ أو السامع أو الكاتب بسياق الكلام العام (اللغوي وغير اللغوي) فيتضح لنا من تقسيم ابن رشيق القيرواني المشترك الى: مشترك محمود: وهو الذي يحتوي على قرينة ترفع الاشتراك مثل قول كثير:

لعمري لقد أحببت كل قصيرة إليَّ وما تدري بذاك القصائـــــــــــــــــــــــــــــــــــر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا، شر النساء البحاتر

فلفظة (قصيرة) من كلمات المشترك اللفظي، وحُب (كثير) لكل قصيرة يشير في بدايته الى احتمال تعدد معنى هذه اللفظة في البيت الأول فقد تعني المرأة، الحكاية، القصيدة، ذات الخلخال، العروس... الخ إلا إنه خصَّص دلالتها بإشاراته إلى القرينة السياقية (عنيت قصيرات الحجال)، فالقرينة السياقية هي التي خلصت (قصيرة) من دلالاتها السابقة، ورفعت اللبس والغموض عنها، ولو ذكر الشاعر البيت الاول فقط لكانت لفظة (قصيرة) من كلمات المشترك غير المحمود، وذلك لاحتمالها اكثر من معنى دون قرينة تحدد

1) ينظر: المزهر: 369/1.
2) المزهر: 369/1.
3) الصناعتين: 88_89.

المقصود، لأن القرينة سواء من السياق اللغوي او المقامي هي التي ترفع الغموض وتوضح المعنى عندما يقع الاشتراك"[1].

ثانيا: المشترك عند المحدثين العرب

لم يختلف الأمر كثيراً عند لغوييننا المحدثين، فمنهم من ذهب مذهب (ابن درستويه) في إنكاره الاشتراك: وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي اشترط لاعترافه بالاشتراك التباين التام بين الدلالتين بقوله: "إذا ثبت لنا من نصوص أنَّ اللفظ الواحد قد يعبّر عن معنيين متباينين كل التباين سميناه هذا بالمشترك اللفظي، أما إذا اتضح أنَّ أحد المعنيين هو الأصل وأنَّ الآخر مجاز له، فلا يصح أنْ يُعد مثل هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره"[2] لأنَّ المعنى واحد في كل هذا وقد أثَّر المجازُ في كل هذه الاستعمالات. ويبدو أنَّ الدكتور أنيس لا يأخذ بأي صلة تربط بين ألفاظ المشترك، فهو يفرق بين معاني الكلمات على أساس التشابه الشكلي ولا يرى اشتراكها إلا بالتباين التام، وهذا نوع من المغالاة لأنَّ التباين التام يولِّد الضدية، فاستعمال "الأرض بمعنى الكرة الأرضية، وإطلاق (الخال) على أخ الأم وعلى الشامة في الوجه"[3] جاء بمحض الصدفة ونتيجة لاختلاف اللهجات، وتبعاً للظروف الاجتماعية، والحق أن والمشترك يتفق مع المجاز إن لم يكن ضرباً منه وكلاهما وسيلتان من وسائل طرائق تنمية وتوسيع اللغة ودليلان على ثراء ألفاظها، لا سيما إذا عرفنا أنَّ المشترك كان بسبب الوضع دون قصد الواضعين لأنه "وجد في اللغة بسبب الوضع إمَّا من واضعَين... أو من واضع واحد"[4] فكل من الواضعين يضع لفظاً لمعنى دون أن يقصد الاشتراك في المعنى، بل يشترك مع غيره من الواضعين فينشأ المشترك عن طريق الصدفة، ويشتهر أحد اللفظين، وهذا يدل على أنَّ اللغة اجتماعية ومكتسبة، فتكتسب الألفاظُ الاشتراكَ عن طريق هذه الاجتماعية[5].

ثالثا: المشترك اللفظي عند الغربيين

إذا انتقلنا الى اللغويين المحدثين من غير العرب وجدنا النقاش نفسه بين إقراره وعدم إقراره، وأنَّ أكثرهم يُقرُّون به، وهو عندهم أربعة انواع:

- وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية وتتصل هذه المعاني بالمعنى المركزي وبعضها ببعض عن طريق وجود عناصر مشتركة وروابط في المكونات التشخيصية. مثل كلمة (Coat) تعني: جاكيت، بلوفر، سويتر، العنصر المشترك بينها (التغطية).
- تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة وسماه (اولمان) تغيرات في الاستعمال، وضرب له مثلا (Wall) حائط، وتتنوع مدلولاتها بحسب مادتها ووظيفتها، أو بحسب مقام المستعمل وخلفيته واهتمامه.
- (هومونيمي) homonymy كلمات متعددة ومعان متعددة مثل: sea بحر، to see يرى، see أبرشية، ويتعدد نتيجة تطور في جانب اللفظ.

وقد شاع المشترك عند هؤلاء بمصطلحين المشترك اللفظي Homonymy وتعدد المعنى Polysemyl [6]. واتخذوا معيار الفصل بين الكلمات التشابه الدلالي والمعاني المختلفة، ويبدو أن الخلاف بين القدامى والمحدثين في تحديد الفرق بين المشترك اللفظي وتعدد المعنى يتصل بشكل مباشر بتحديد مفهوم الكلمة

1) العمدة: 92_93.
2) دلالة الألفاظ: 216.
3) المزهر: 371/1.
4) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: 9/1_10.
5) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى: 285.
6) ينظر: علم الدلالة: أحمد مختار عمر: 164 وما بعدها.

عندهم، لأن المصطلحين يشيران إلى كلمة واحدة لها معنيان أو أكثر، وأن الكلمة خارج سياق لها معنى متعدد ومحتمل، وفي السياق دلالة محددة.

المبحث الثالث: أسباب حصول المشترك اللفظي

يُرجِعُ معظمُ الدارسين قديمًا أسباب نشوء ظاهرة المشترك اللفظي في اللغة إلى أسباب عدة، ويبدو من دراسات القدماء لهذه الظاهرة أنّها تعود لسببين اثنين هما: نقل الألفاظ وتمازج لغات العرب، كما يبدو أيضا من دراسات المحدثين لهذه الظاهرة أنّ من أبرز أسبابها سببين هما: التطوّر الصوتي، واتفاق الصيغ الصرفية، وذلك عندما يؤدّي تباعد معاني الكلمة الواحدة عن بعضها البعض إلى أن تنقطع الصلة عن تلك المعاني، وعلى ضوء ذلك نستطيع القول بأنّ أبرز أسباب المشترك اللفظي في اللغة العربية ثلاثة أسباب هي: النقل، والتطوّر الصوتي، وتمازج لغات العرب، وقد اختلفت نظرة بعض العلماء حول السبب الأكثر من بين هذه الأسباب، فنجد على سبيل المثال (الرّازي) من القدماء يرى أنَّ السبب الأكثر لوقوع المشترك اللفظي في لغة العرب يتحقّق كثيرًا عن طريق تداخل لغاتهم، في حين يرى (أولمان) من المحدثين أنَّ السبب الأكثر لوقوع المشترك في اللغة الانجليزية يتحقّق عندما تتفق كلمتان أو أكثر في الصيغة عن طريق التطوّر الصوتي[1] ، ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى فضلاً عمَّا ذُكر سابقاً، منها:

أسباب معنوية (النقل):

وفي هذا الشأن يرى إبراهيم أنيس أنه من أبرز العوامل التي تؤدي إلى ظهور الاشتراك اللفظي، والنقل من عمل الأفراد الموهوبين في الشعر والنثر، ويكون هنا عن قصد وغاية جمالية، وقد ينشأ ذلك لدى العامّة بسبب التغيّر في الحياة الاجتماعية والعقلية والثقافية، فتنتقل الألفاظ من مدلولات حسّية إلى مدلولات أخرى معنوية تطلّبتها الأوضاع ومقتضيات الواقع الآني.

أسباب ترجع إلى المبنى (التطوّر الصوتي):

ويكون في تغيّر النطق، سواء عن طريق القلب أو الإبدال، وهو سبب مهمٌّ من أسباب الاشتراك، ومثال ذلك اشتراك بين الفعلين (خَاطَ) من الخِيَاطَةِ وَالفِعْلِ (خَطَا) من الخُطْوَة، ولكن بقلب (خَاطَ) إلى (خَطَا)، ومثال ذلك (حَلَك) و(حَنَك)، وغيرها، أمّا التغير في المعنى فبعضه يكون عن قصد، والآخر غير مقصود، غير أن التغيّر المقصود يقع كثيراً في البيئات العلمية لوضع مصطلحات علمية، مثل ما حدث لكثير من الكلمات في اللغة العربية، ويشكل هذا النوع من التغيّر التلقائي سبباً من أسباب الاشتراك اللفظي، فقد يحدث لسبب ما، كأن تكتسب كلمة ما دلالة جديدة، وتبقى دلالتها الأولى مستعملة فيحدث الاشتراك بين الدلالتين، ومثال ذلك كلمة (البَأْس) فمعناها المعجمي الحَرْبُ، ثمَّ أصبحت تدلّ على كُلِّ شِدَّة.

الاقتراض:

الاقتراض يحدث حين تستعير لغة ما مفردة تماثل صورتها مع كلمات أخرى وإنْ اختلف معناها، فتجد الكلمتين متّحدتين في الصورة، ومختلفتين في المعنى والدلالة، ولكن كلّ منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة، وهذا النوع من الكلمات نادرٌ وهو وليد الصدفة، ولكنه قد يولّد لنا المشترك اللفظي، فكلمة البُرْج بمعنى الحصْن قد استعارته اللغة العربية من اللغة اليونانية، فليست بلاد العرب بيئة للحصون والأبراج، ومع هذا اشتملت اللغة العربية على هذه المادة (بُرْج) وتتّخذها في عدة معانٍ قد لا تمت للحصون بصلة، فهي مادة عربية أصيلة، فإذا تصادَفَ أن كان بين كلمات اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير

1) المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي، محمد سعيد إبراهيم الثبيتي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1988م: 96.

عن صفة خاصة في العين، أو في مجال التعبير عن صفة عامة للزينة أو التزيُّن، وجاءت على صيغة (البرج) ولَّد هذا في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي[1].

تداخل لغات العرب:

وذلك أن تتغيّر معاني الألفاظ من لهجة في قبيلة إلى أخرى، وتتبدّل كذلك في اللهجة الواحدة بتقادم الأزمان، وبمرور الوقت يُنسى المعنى الأصلي، وتصبح الألفاظ سارية بمعناها الجديد دون معانيها القديمة، وهنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدّة الصورة في معان مختلفة، وهذا كلّه راجع للتداخل الحاصل بين اللهجات واشتراكها في الصورة الأولية للفظ، لتتوالد منها المعاني مختلفة في كل لهجة، ويبدو أنّ هذه الظاهرة قد أثَّرت كثيراً في اللهجات العربية دون غيرها لظروف لغويّة خاصّة، فلمّا جُمِعَتِ اللغة، خُيِّلَ لجامعيها أنَّ إحدى القبائل تستعملها في معنى آخر، والحقيقة أنّ معنى هذه الكلمة في معنى من هذه المعاني، في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى آخر، وأنّ معنى هذه الكلمة قد تغيّر في لهجة من اللهجات دون أن يطرأ عليه تغيير في اللهجة الأخرى[2].

سوء فهم المعنى:

قد يُسِيء الطفلُ فهمَ معنَى كلمةٍ معيّنةٍ في البيئة المنعزلة، ثمّ ينشأ هذا الطفل دون أن يُصلِحَ ما فَهِمَهُ، فتراه يستعمل الكلمات في معنى جديد، إنْ لم يكن مخالفاً للمعنى الأول كلّ المخالفة، فلا أقلّ من أن نرى بين المعنيين بعض الاختلاف، فتغيّر المعاني يكون من أخطاء الأجيال الناشئة، وليس من السهل التمييز بين الكلمات التي اختلفت معانيها بسبب استعمال مجازي، وبين تلك التي تعدّدت معانيها بسبب أخطاء الأطفال، على أنه يمكن بوجه عام أن ننسب تغيّر المعاني في كلمة من الكلمات إلى عبث الأطفال، حين لا نلحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد[3].

المبحث الرابع: دور السياق في وضوح المشترك:

جعل الجاحظ وظيفة البيان والتواصل محصورة في الفهم، إذ يقول: "إنَّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان"[4]، ومن خلال وقوفنا على دراسة المشترك والبحث عن المعنى وانكشافه لإقامة الفهم والاتصال نجد طائفة من اللغويين القدامى يذهب الى أنَّ المشترك يؤدي إلى عدم وضوح المعنى، بمعنى انه يلغي الوظيفة الأساسية لإقامة الكلام وهي الإفهام الذي اشترطه الجاحظ، فيؤدي الى تعمية وتغطية، وبالغ بعضهم فقال بالإبهام كما اشرنا سابقا، ومنهم من قال: "إخلاله بالتفهيم المقصود من الوضع لخفاء القرائن"[5] ويمكن الرد على هؤلاء المنكرين: إن الواضع من العقلاء فكيف يريد الإبهام؟ والاشتراك كما اتضح لنا ظاهرة اجتماعية وجدت لحاجة الانسان للاتصال والتعبير وإقامة الفهم، وقرائن السياق كثيرة وقادرة على إبانة المعنى، كما إنَّ إغفال هؤلاء السياق بنوعيه وبالنقاط التي أوردناها في الترادف كأساس لدراسة العلاقات الدلالية جعلهم يذهبون إلى أنَّ الاشتراك يؤدي الى الإبهام أو الغموض، ويبدو أنَّ طائفة من المحدثين مثل (بالمر) و(أولمان) يذهبون هذا المذهب. فبالمر يرى "أنَّ دلالة اللفظة الواحدة على أكثر من معنى يخلق صعوبة في الفهم". ويسمي تلك الصعوبة التي تنشأ من عدم التمييز بين المعنيين (مشكلة) Problem ومثَّل لها بكلمة الطيران التي تدل على الطيران الحقيقي، وتعني أيضا اتحاد القوة الجوية،

1) المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي: 25_26.
2) ينظر: اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: 168_169.
3) المصدر نفسه: 170.
4) البيان والتبيين: 76/1.
5) الكفاية للخراساني: 19.

وقال ليس من السهولة أن نميِّز بين معاني هذه الكلمة، وعزَّز موقفه بالفعل (نأكل) فقال: من الواضح أننا نأكل أصنافاً مختلفة من الأطعمة بطرق متباينة... واذا لم نولِ هذه المسألة اهتمامنا، فإننا نقر بأن الفعل له معان مختلفة تبعا لأصناف الطعام التي نأكلها ... ولو نوقشت وجهة نظر (بالمر) في ضوء الاساليب العربية لبدت بعيدة عن الصواب، سواء أكان استعمال الفعل "نأكل" حقيقيا أم مجازيا[1]، ويتضح ذلك من وضع الفعل في سياق، فالسياق هو الذي يحدد المشترك، ففي قوله تعالى: كلوا **وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** (الحاقة: 24)، ويدل (الفعل) من خلال السياق على الأكل وهذا هو الاستعمال الحقيقي له، وَفِي قَولَه تعالى **(ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ)** (يوسف: 48)، استُعمِل الفعل يأكل استعمالاً مجازياً فهو مشترك الدلالة لدلالته في هذه الآية على القحط والمحل، والسياق هو الذي وضح لنا المعنى وحدد الدلالة، وأزال الغموض والإبهام.

المبحث الخامس: وليد الصراف نبذة تاريخية

وليد فوزي عبد القادر الصراف النعيمي، من مواليد مدينة الموصل 1964م، دكتوراه في جراحة الأنف والأذن والحنجرة، يعمل جراحاً اختصاصياً في مستشفى السلام بالموصل، نُشر له العديد من القصائد والمقالات والقصص في الصحف والدوريات العراقية والعربية، له ديوان مطبوع عن اتحاد الكتاب العرب (ذاكرة الملك المخلوع) ١٩٩٩ طبعة ثانية عن دار الشؤون الثقافية في العراق (ديوان رسالة من قابيل عن ماشكي) ٢٠١٩. و(غزل في امرأة تجاوزت الأربعين) ٢٠٢١ عن اتحاد الادباء في العراق، (ظلال من الشجرة التي اقتلعت) ٢٠٢١ عن خطوط وظلال الاردنية ومجموعة قصصية مطبوعة (قصص للنسيان) العراق دار الشؤون الثقافية ١٩٩٢، ومجموعة قصصية صادرة عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ٢٠٠٨ بعنوان مع (الاعتذار لألف ليلة وليلة)، فاز بأكثر من عشرين مسابقة في الشعر والقصة والمسرحية والمقالة من ضمنها لقب شاعر الشباب الأول في العراق عام ١٩٩٣ وجائزة الدولة في الشعر لعام ٢٠٠٠م، عن ديوانه (ذاكرة الملك المخلوع) وقلادة الأبداع الأولى في مهرجان أبي تمام الشعري الثاني والجائزة الأولى في القصة لمسابقة وزارة الثقافة والأعلام والجائزة الأولى للشعر في مسابقة حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، والمركز الرابع في مسابقة أمير الشعراء في أبو ظبي. عمل لسنوات في الصحافة رئيسا للقسم الثقافي في جريدة نينوى وسكرتيرا لتحرير مجلة آفاق الطبية، وقد ورد اسمه ضمن موسوعة أعلام الموصل للقرن العشرين الصادرة عن جامعة الموصل مركز دراسات الموصل. نوقشت العديد من الرسائل الجامعية حول نتاجه الأدبي، منها:

- الصورة الفنية في شعر وليد الصراف، زينب، كلية الآداب جامعة الموصل، بإشراف: د. عبد الله المولى.
- التناص الأدبي والديني في شعر وليد الصراف، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط في المملكة الأردنية الهاشمية، جاسم العبيدي، بإشراف: أ.د: بسام قطوس.
- دراسة أسلوبية في شعر وليد الصراف، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، علاء حسين علي، بإشراف: د. فوزي سعد عيسى.
- الحجاج في الشعر العربي الحديث وليد الصراف أنموذجا، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية، حماده الهقيش، إشراف: د. طارق المجالي.
- التركيب اللغوي لأساليب الطلب في شعر وليد الصراف دراسة نحوية دلالية، عبد الله علي هادي حمد السبعاوي، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، بإشراف: د. محمد فيصل فتحي النعيمي[2].
- عوارض التركيب في ديوان رسالة من قابيل للشاعر وليد الصراف، أشواق حميد الرفاعي، بإشراف: د. محمد إسماعيل المشهداني، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل.

---

1) ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، د. احمد نصيف الجنابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج35، ع4، 1984م: 394.

2) ينظر: ديوان تاسع أهل الكهف، وليد الصراف: 136_138.

المبحث السادس: دراسة ألفاظ المشترك اللفظي في الديوان

بعث

ورد في القاموس المحيط: بَعَثَهُ كمنعه: أرسله[1] ، و"البعث والإرسال يتقاربان، تقول: بعثتُ رسولين وأرسلتُ رسولاً، ويقال: البعث ويراد به: الإحياء ويقال ويراد بالبعث الإثارة، يقال بعثت الناقة إذا أثرتها. ويوم بعاث: يوم كان للأوس والخزرج"[2]. نخلص من ذلك أن البعث في اللغة من المشترك اللفظي فهو يفيد معنيين: الأول: الإرسال، والثاني الإحياء أو الاستيقاظ بعد النوم. فمن الأول قول الله تعالى:(وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) (الكهف: 19)، ومن المعنى الثاني قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)(الكهف: 12)، وقد ورد هذان المعنيان للجذر (ب.ع. ث) في ديوان الشاعر، فجاء بمعنى الإرسال في قوله[3] :

نريد أن تزرع فينا بذرةً
تنشقُّ عن نرجسةٍ لا جثة تُبعث نحو النار

نجد أنَّ السياق التركيبي للجملة حدَّد معنى المشترك اللفظي للمفردة، فكلمة (نحو) في سياق البيت أدَّت دورًا حاسمًا في تضييق دلالة المشترك اللفظي للجذر(بعث) إلى معنى الإرسال وحده دون غيره من المعاني الأخرى كالتحريك أو الإحياء؛ إذ إن دلالة الاتجاه الملازمة لـ(نحو) تجعل البعث لا يحمل أي معنى للحياة أو التحريك المجرد، بل ترسّخ دلالته باعتباره إرسالًا قهريًا نحو العذاب. أما المعنى الثاني (الإحياء) فنجده كثيراً وشائعاً في الديوان من ذلك قوله[4] :

أظل أنفخ في صوري وأصرخ لا بين المقابر حتى أبعث العربا

فوجود ألفاظ مرتبطة بالموت والقيامة مثل (النفخ)، (الصور)، (المقابر)، فضلاً عن السياق غير اللغوي (الديني) المتعلق بـ(النفخ بالصور) المقترن بيوم القيامة حيث يبعث الله الموتى من قبورهم في الثقافة الإسلامية حدد دلالة المشترك اللفظي لكلمة (بعث) وجعلها محصورة في معنى الإحياء بعد الموت دون غيره من المعاني.

عين

تكاد كلمة(عين) تكون من أكثر الكلمات في العربية التي اشتهرت بتعدد معانيها، حتى أحصى بعض اللغويين لها ما يزيد على ثلاثين معنى[5]، فهي تعني حاسة البصر والجاسوس وأهل البلد والعين الجارية والحسد، وعين الفضة والذهب وغير ذلك، وتجمع على أعيان وأعين وعيون. قال صاحب القاموس: "العين: أهل البلد...وأهل الدار والإصابة بالعين"[6]. وورد هذا اللفظ في ديوان الشاعر بمعنيين: الأول: حاسة البصر، وهو المعنى الأشهر والأكثر في الديوان، والثاني: العين الجارية، فمن المعنى الأول قول الشاعر[7] :

تلوح من عيونها أغاني
وحشية الإيقاع مستحيلة المعاني

درس

---

1) الفيروز آبادي: مادة (بعث).
2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي: 204.
3) تاسع أهل الكهف: 75.
4) المصدر نفسه: 107.
5) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: 138.
6) الفيروز آبادي، مادة (عين): 169.
7) تاسع أهل الكهف: 64.

يشير الجذر (د. ر. س) في المعجمات العربية إلى معنى الخفاء والخفض والعفاء، من ذلك الدَّرْس: الطريق الخَفيُّ، ويقال: دَرَسَ المنزلُ: عفا، والدَّريس: الثوبُ الخَلَق، ودرستُ الحنطة وغيرها في سنبلها إذا دُستَها، وهذا محمول على أنها جُعلت تحت الأقدام كالطريق الذي يُدرس ويُمشى فيه، ودَرَسَتْهُ الريحُ تدرُسُهُ دَرْساً، أي: مَحَتْهُ. ومن هذا الباب قولهم: درستُ القرآن وغيره، ذلك أنَّ الدارس يتتبَّع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه[1] ، ومن هذه المعاني اكتسبت المفردة معنى التعليم ذلك لكثرة المتابعة في القراءة، إذ يُقال: درستُ الكتابَ أدرسُهُ، أي: ذلَّلتُه بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظُهُ عليَّ، ودرستُ السورة: حفظتُها، وجاء في الحديث: "وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[2]، وجاء في الأثر أيضاً: (تدارسُوا القرآنَ) أي: اقرؤوه وتعهَّدوه لئلا تنسوه، من ذلك قوله عز وجل: (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام: 105)، أي: تعلَّمتَ[3].

وقد وردت هذه اللفظة في الديوان بالمعنيين: الخفاء، والقراءة والتعلُّم، فجاءت بمعنى الاندثار والخفاء في قوله[4] :

فجبال أوراسَ فمصر فتونس أضحتْ ديارٌ للغريبِ ديارُها
دَرَسَتْ فأمستْ للكلابِ معابراً وهي المنيعةُ دائماً أسوارُها

وكذلك في قوله[5] :

لم يبقَ منها غيرُ قبرٍ دارسٍ دُفِنتْ إلى أبدٍ به أسرارُها

فالسياق اللغوي والعلاقات التركيبة داخل الجملة في البيت الشعري حددت دلالة الجذر (د. ر. س) وهو الخفاء والاندثار والبلى، ففي البيت الأول سياق الكلام عن الديار وتحول حالها واندثار أطلالها حتَّم أنْ يكون معنى (دَرَسَت): اندثرت، وكذا الحال في البيت الثاني، فقد حدَّد السياق التركيبي _النحوي_ دلالة المفردة، إذ جاءت كملة (دارس) نعتاً للقبر، فهو عادةً يُوصَفُ بالعفاء والاندثار، ولا يصلح فيه معنى القراءة والتعلُّم.

أما المعنى الثاني (القراءة والتعلُّم) فقد جاء في قول الشاعر في الديوان[6] :

وصار يعطي دُروساً في السلام فلا يجوز إلا لأجل النوقِ نقتتلُ

فقد وظَّف الشاعر هذه المفردة في سياق تهكمي، إذ يسخر ممن يتحدث عن السلام بلسانه، ويعطي (دروساً) فيه لكنه لا يفعل ذلك ولا يسعى إليه. فنخلص من ذلك أنَّ المقصود بـ(الدروس) في سياق هذا البيت هي الدروس التعليمية، يشفع لذلك السياق الثقافي للمفردة إذ جاءت في قصيدة تهكمية وساخرة، فضلاً عن السياق النحوي للمفردة، ووقوعها مفعولا به للفعل (يعطي)، والسياق الصرفي إذ وردت بصيغة جمع التكسير (دروس) على وزن (فُعُول)، وكل ذلك يكشف عن دلالة هذه المفردة (محاضرات تعليمية).

بحر

البَحْرُ في اللغة: الماءُ الكثير، وهو خلاف البَّر، وسُمِّي بذلك لعمقه واتساعه، وجمعه: أبحرٌ، وبُحور، وبِحار، ويُطلق أيضاً على كل نهرٍ عظيم لا ينقطع ماؤه، ويُحمل على هذا المعنى كل ما اتسع من الأشياء، إذ لا يقتصر معناه على المعنى المائي المعروف ، فيسمَّى الفرسُ الواسع الجَري بحراً، ويُقال

1) مقاييس اللغة، مادة (درس): 2/ 267_268.
2) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: 2074/4.
3) ينظر: لسان العرب، مادة (درس):
4) تاسع أهل الكهف: 129.
5) المصدر نفسه: 130.
6) تاسع أهل الكهف: 51.

للرجل بحرٌ إذا اتسع علمُه وفضلُه، والتبحُّر والاستبحار: الانبساط والسعة[1]، ويبدو أنَّ أوزان الشعر سُميت بحوراً لأن كل وزنٍ شعري يتسم باتساع نظم القصائد فيه، وكثرة تفرعاته، كما أنَّ حركة الإيقاع فيه تشبه تموجات البحر واضطرابه، متدفقة ومنتظمة لكنها متنوعة ومتباينة. يقول السيوطي: "وسَمَّى الخليلُ أوزانَ الشعر بحوراً لسعتها، وكثرة أشعار العرب عليها"[2]. وقد وردت لفظة (بحر) في الديوان بصيغة المفرد وصيغة الجمع بأوزان متعددة، وجاءت مشتركة بين معنيين: بحور الماء، وبحور الشعر. فمن المعنى الأول قوله[3] :

أرضٌ قبورٌ وبَحرٌ درُّه زبَدٌ والموجُ يبدو سراباً وهو يلتطمُ

نلحظ أن الشاعر يقيم تقابلاً دلاليًا بين الأرض والبحر، ويصف الأرض بأنها قبور، بما تحمله من دلالة الموت، والسكون والنهاية. أما البحر فبالرغم من أنه موضع الدر (اللؤلؤ)، أي رمز القيمة والجمال، إلا أن هذا الدر مغمور بـ(الزبد)، الذي هو الرغوة الفارغة التي سرعان ما تتلاشى. وهنا تظهر أولى طبقات المشترك، كما أنَّ (البحر) في هذا السياق ليس مجرد مكان جغرافي، بل يتحول إلى وحدة رمزية تعبر عن الحياة، أو الوجود، أو حتى العقل الإنساني الذي يغوص بحثًا عن المعنى، ليواجه الخيبة في شكل زبد وسراب. وهنا تتحقق وظيفة المشترك اللفظي كأداة بلاغية ودلالية تعمق المعنى وتمنحه طيفًا من التأويلات. وأما المعنى الثاني (بحور الشعر) فنجده في قوله[4] :

كان ابنُها مَن مِن أصابعه الـــــــ بُحورُ تفجَّرتْ مجزوؤها وطويلها

فدلالة اللفظة هنا تتحدد من خلال القرائن السياقية المرتبط باللفظ، فكلمة (مجزوؤها)، و(طويلها) مصطلحان متعلقان بعلم العروض، ويعضِّد هذا المعنى أيضا السياق الثقافي والتاريخي، فهذا البيت جاء ضمن قصيدة بعنوان (البصرة)، والمقصود بـ(ابنها) في أول البيت هو (الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري) واضعِ علم العروض.

رسم

للجذر (ر. س. م) في المعجمات العربية معان متعددة، أصلها الأثر الذي يبقى من الشيء بعد زواله، وخاصةً الأثر الباقي من ديارٍ وقبورٍ وقلاعٍ قديمةٍ. إذ يُقال: "ترسَّمتُ الدار: أي نظرتُ إلى رسومها...وناقةٌ رَسوم: تؤثِّر في الأرض من شدَّة الوطء، والثَّوبُ المُرسَّم: المُخطَّط... والرَّوسَم: خشبةٌ يُختم بها الطعام، وكل ذلك بابه واحد وهو الأثر"[5]، ورَسْمُ الدار: ما كان من أثرها لاصقاً بالأرض، أي: أثرها بعد الخراب، والجَمْعُ: أرسُمٌ ورُسُومٌ، ورَسَمَ الطريقَ: حَدَّده معالمه وأوضحها[6] . ومن هنا فإن دلالة الجذر مرتبطة بأيِّ أثرٍ خطي أو تخطيطي يُحدثه الإنسان أو غيره على الأرض أو الجدران ونحو ذلك. ومع تطوّر الثقافة العربية الإسلامية، خاصة مع ازدهار الفنون مثل الزخرفة والخط العربي أصبح (الرسم) يدلُّ بشكل خاص على عملية التصوير التشكيلي، أي: إنتاج صور وخطوط متعمدة تعبِّر عن جماليات معينة. لذلك أصبح يشير إلى فنٍّ منظم له قواعد وتقانات، لا مجرد أثر عابر[7] . وقد وردت هذه الكلمة في ديوان الشاعر بالمعنيين: أثر الشيء بعد زواله، والفن المعروف. فمن المعنى الأول قول الشاعر :[8]

---

1) ينظر: لسان العرب، مادة (بحر): 1/215_2016.
2) المزهر في علوم العربية: 2/114.
3) تاسع أهل الكهف: 47.
4) المصدر نفسه: 11.
5) مقاييس اللغة، مادة (رسم): 2/393_394.
6) ينظر: لسان العرب، مادة (رسم): 3/1647.
7) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (رسم): 357.
8) تاسع أهل الكهف: 128.

إني أرى وطناً بمَحْضِ طُلُولِهِ ورُسُومِهِ يزهو على الأوطانِ

جرتِ العادة في السياقات الأدبية أنْ تستعمل كلمة (رسم) أو (رسوم) في الشعر العربي القديم عند الحديث عن الأطلال، حين يتأمل الشاعر بقايا الديار الخَرِبَة التي كانت عامرةً بأهلها. يقول امرؤ القيس[1] :

فتُوضِحَ فالمقراةِ لم يَعفُ رَسْمُها لِما نَسَجتها مِن جَنوبٍ وَشَمْألِ

وقد وظَّف الشاعر وليد الصراف هذه المفردة في البيت المذكور في سياق تصوير وطنه وهو في حالة خراب (طلول ورسوم)، لكنه رغم ذلك يحتفظ بجماله وعظمته، بل يزهو ويفتخر مقارنة ببقية الأوطان. وهذا يعطي دلالة أعمق لكلمة (رسم)؛ فهي ليست مجرد أثر مادي جامد، بل رمز حي للكرامة والعزة والمجد الذي لا يزول حتى لو تهدمت معالم الوطن. وبالتالي فإن هذه المفردة انتقلت دلاليًا هنا من معناها المادي البحت (الأثر الباقي) إلى دلالة رمزية معنوية: الأثر الحي للهوية والبطولة والتاريخ المجيد. وهنا تكمن أهمية السياق في الكشف عن دلالة المشترك اللفظي، فلولا السياق (مقارنة وطنه بالأوطان الأخرى ومفاخرة حتى بالخراب)، لما ظهرت هذه الدلالة الرمزية المتفائلة في كلمة عادةً ما ترتبط بالحزن والرثاء. أما المعنى الثاني (الفن التشكيلي المعروف) فنجدها في قوله[2] :

لو كنتُ بجماليون
كنتُ رسمتُ في دفاتري امرأةً
العينُ منها لؤلؤة

لقد تظافرت السياقات المختلفة على تحديد دلالة المشترك اللفظي للكلمة في البيت أعلاه، منها السياق الثقافي والأسطوري، فالشاعر هنا يتحدث عن تخيّله ورغبته الإبداعية، ففي البيت إشارة إلى أسطورة يونانية قديمة (بجماليون)، النحَّات الذي صنع تمثالاً جميلاً ووقع في حبه[3] . فضلا عن إنَّ اللفظة جاءت بصيغة الفعل (رسمتُ) إذ تحيل القارئ إلى عمل إبداعي كالنحت أو التصوير. ومن هنا فإن دلالة (الرسم) تنصرف إلى معنى الإبداع (الفني التشكيلي): أي تصوير ملامح الجمال البشري بريشة الفنان أو أدوات النحت، لا إلى أي معنى آخر من معاني الكلمة. ويؤيد ذلك السياق اللغوي، فوجود كلمات مثل (دفاتري) و(امرأة العين منها لؤلؤة) جعل من الرسم فعلاً دقيقًا مرتبطًا بالخيال الفني لا بالمعاني الأخرى (الأثر وبقايا الأطلال). ويمكننا القول إن السياق هنا حسم دلالة كلمة (الرسم) من بين معانيها الممكنة، وجعلها تدل تحديداً على الفعل الإبداعي المرتبط بتصوير الجمال، وهذا يؤكد دور السياق بوصفه الآلية الأساسية لفك اشتباك المشترك اللفظي، ومنع الغموض في الفهم والتأويل.

الخاتمة

- المشترك اللفظي واحد من الظواهر اللغوية الدالة على زخم اللغة العربية وغناها، وتجددها عبر العصور.
- إن القول بجواز وقوع المشترك اللفظي هو القول الذي يتفق مع قواعد المنهج العلمي، وتشفع له الأدلة، والقول بغير ذلك لا يستند على دليل محكمٍ.
- لا يمكن أن يقع الاشتراك اللفظي إلا في المعاني المختلفة، المتفقة في اللفظ الواحد.
- إن تعدد معاني اللفظ الواحد ظاهرة لغوية موجودة في جميع اللغات الحية الشائعة لأن سبب وجودها يكمن في طريقة تسمية الأشياء، ووضع الألفاظ.

1) ديوان امرئ القيس: 22.
2) تاسع أهل الكهف: 82.
3) ينظر: الأسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس: 62.

- نبَّه العلماء في التراث العربي والإسلامي على أهمية استحضار السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي في فهم دلالة النص، دون اقتصار ذلك على مجرد اللفظ، لأن السياق اللغوي وحده قد يكون غير كافٍ أو مضللاً في تحديد دلالة المشترك اللفظي.
- بعد استقصاء أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللفظي في ديوان (تاسع أهل الكهف)، تبين أن المشترك اللفظي يشكل ظاهرة دلالية بارزة تسهم في إثراء النص الشعري وفتح آفاق متعددة للتأويل. وقد أظهرت الدراسة أن السياق سواء اللفظي أو المقامي يمثل الأداة الفاعلة في توجيه دلالة المشترك، ومنع انزلاق المعنى إلى الغموض أو اللبس.
- أكدت نتائج البحث أن تفسير المشترك اللفظي خارج سياقه يؤدي إلى إساءة الفهم والتأويل الخاطئ للنصوص الأدبية، في حين أن الاستناد إلى السياق يفضي إلى قراءة أكثر دقة وعمقاً للنص.
- أكدت الأمثلة المدروسة في البحث أن الكلمة المشتركة لا تستقيم دلالتها إلا بقراءة السياق المحيط بها، مما يبرز أهمية القرائن المصاحبة في توجيه الفهم.

مصادر البحث

❖ أسرار العربية، أبو البركات كمال الدين ابن الأنباري (ت 577ه)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د. ط)، 1957م.
❖ الأسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
❖ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.
❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817ه)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
❖ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، 1975م.
❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت 1205ه)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، (د. ط)، 1965م.
❖ تاسع أهل الكهف، وليد الصراف، دار موزاييك للدراسات والنشر، إسطنبول_ تركيا، ط1، 2023.
❖ دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، ط6، 1986م.
❖ الدلالة السياقية عند اللغويين، أ.د عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر، ط1، لندن، 2007م.
❖ دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط10، 1986م.
❖ ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط2، 2004م.
❖ زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597ه)، دار ابن حزم، بيروت_ لبنان، ط1، 2002م.
❖ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د. ط)، 1977م.
❖ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 1991م.
❖ ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، د. احمد نصيف الجنابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج35، ع4، 1984م.
❖ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982م.

❖ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، 1962م.
❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت_ لبنان، ط4، 1972م.
❖ قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت_ لبنان، ط4، 1983م.
❖ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817ه)، تحقيق: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (د. ط)، 2007م.
❖ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ت 395ه)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1972م.
❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض_ المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م.
❖ كفاية الأصول، محمد كاظم المعروف بالآخوند الخراساني (ت 1328ه)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، ط1، 1984م.
❖ الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية_ مصر، 1980م.
❖ لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت 71ه)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1989م.
❖ اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 1992م.
❖ المزهر في علوم العربية وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911ه)، تحقيق: محمد أحمد جاد الله ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت_ لبنان، (د. ط)، 1986م.
❖ المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، د. توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1980م.
❖ المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي، محمد سعيد إبراهيم الثبيتي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1988م.
❖ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، ط3، 1985م.
❖ المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (د. ط)، (د.ت).
❖ مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، (د. ت)، 1979م.
❖ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي (ت 597ه)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، ط3، 1987م.